مركز حمورابي

انهيار سوريا ونهاية دورها الإقليمي

انهيار سوريا ونهاية دورها الإقليمي

د. محمد حسن سعد/ الولايات المتحدة الامريكية

مدير مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

23 كانون الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي
للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

شكل سقوط النظام السوري ورحيل رئيسه بشار الأسد بهذا الطريقة المهينة نقطة تحول مفصلية في المشهد السوري، كما في المشهد الإقليمي لانعكاسه على ادوار القوى الدولية والاقليمية المؤثرة والمتدخلة والمتداخلة في هذا المشهد، الذي فتح الباب على مصراعيه لإعادة ترتيب تموضعات هذه القوى ما بين الارتباك والثبات، فحجم الحدث في سوريا انهى بقايا النظام الإقليمي العربي الذي أصيب بتصدعات كبرى منذ عقدين أي منذ غزو الولايات المتحدة الأميركية للعراق حتى وقتنا الراهن، مع ما حوته هذه المرحلة من أحداث وتحولات هائلة ليس من قبيل المبالغة القول انها شكلت مدخلاً رئيسياً لإعادة النظر في العلاقات الدولية والأسس التي قامت عليها، إذ لطالما كانت هذه المنطقة محط أطماع الإمبراطوريات الكبرى ومقبرتها في آن معاً، فكيف والحال بسوريا قلب المشرق العربي وهلاله الخصيب وبوابته الجيوسياسية والإستراتيجية.

هذا المشهد السوري الزلزالي الذي انفتح على الكثير من التساؤلات، وأبرزها كيف سقط النظام السوري برئاسة بشار الأسد؟

العوامل الداخلية:

ساهمت عوامل داخلية عدة في تسريع سقوط النظام السوري، ويمكن ايجازها بما يلي:

1.حالة الفوضى والهشاشة الكاملة للوضع في سوريا، بما في ذلك حكومتها وجيشها غير قادر على التعامل مع الحركات الجهادية السورية وغير السورية الناشطة في الأراضي السورية التي تتمتع بإرادة عالية وشجاعة للقتال والموت. وقد وفر تقليص الوجود العسكري لروسيا وإيران وحزب الله في سوريا أفضل أرضية للمعارضة لشن عملية كبيرة، بعد الانتكاسة الكبيرة التي تعرض لها هذا الوجود بفعل الحرب الإسرائيلية على محور المقاومة.

1.طوال السنوات السبع الماضية، التي شهدت سوريا فيها هدوءاً نسبياً، لم يتم حل أية قضايا أساسية، كان الرهان أن يحكم الرئيس السابق بشار الأسد لبضعة عقود أخرى بنفس الصيغة القديمة التي لم تعد تصلح أساساً، وبالتالي اعتقد النظام وأركانه ان مصير الإنتخابات الحرة وحقوق المواطنة والحريات السياسية أصبح من الماضي.

2.غياب الخطة المتكاملة لإعادة بناء البلاد ومعالجة الفقر المتزايد، وتحسين مستويات المعيشة، ولملمة تداعيات الحرب واحتواء تداعياتها التي حفرت عميقاً في ذاكرة السوريين.

3. لم يتم اتخاذ أي إجراء للإعلان عن عفو عام، فكل قرارات العفو التي أصدرها الأسد لم تكن بمستوى الآمال المعقودة على وئام يعيد اللحمة بين السوريين التي تشظت وتضضعت كثيراً بفعل الحرب في سوريا.

4.إهمال ملف عودة ملايين السوريين في الخارج، إذ كان النظام وأركانه يعتقدون ان هذا الوضع سيستمر إلى الأبد.

5.غرق الإقتصاد السوري المدمر بفعل الحرب والعقوبات في مستنقع هيمنة مافيا المخدرات، حيث تحولت سوريا إلى أكبر بؤرة في المنطقة لصناعة المخدرات على أنواعها، حيث نشطت العصابات عبر الحدود مهددة دول الجوار.

6.إصرار النظام وأركانه على عدم إشراك المعارضة الوطنية السورية في الحكم، واجهاض مقترحات ومشاريع الحل التي تقدم من هذه المعارضة أو حتى من دول قريبة وحليفة للنظام، واستمرار سياسة التخوين بحق هؤلاء المعارضين، والنظر إليهم باعتبارهم ينفذون أجندة خارجية تريد الإضرار بسوريا.

استمرار الممارسات القمعية السابقة التي كان يقوم بها عدد من اتباع النظام والمقربين منه في داخل المحافظات السورية والمعابر الحدودية الواقعة تحت سيطرة النظام، والتي تربط سوريا بدول الجوار، بل أكثر من ذلك تعاون هؤلاء الاتباع بعلم قادتهم مع التنظيمات

1.المسلحة في تجارة النفط والقطن والحبوب، حيث طرحت روسيا هذه القضايا الحيوية من خلال موفديها كثيراً مع الرئيس السابق بشار الأسد لحلها، إلا ان شيء لم يحصل، بل تزايدت هذه الممارسات التي دفعت الكثير من السوريين للقول لا يهم من يحكم، فما نريده رغيف الخبز وراحة البال.

2.حالة العزلة الكاملة التي عاشها النظام على مدار أكثر من عقد من الزمن عن مناطق في سوريا سيطرت عليها الجماعات المسلحة، وعدم القيام بما يلزم لإعادة هذا المناطق إلى كنف الدولة السورية، بل أكثر من ذلك شكلت هذه التنظيمات حكومة في أدلب تنولى إدارة الحكم، فعملت على تغيير كل شيء، نعم كل شيء في حياة السوريين في تلك المناطق، فنشأ جيل كامل مشحون بعقلية الثأر والانتقام، يؤمن بالأفكار التي تروج لها الجماعات المسلحة، ويكن العداء المطلق للنظام في دمشق.

3.خلالهذا العقد بدا واضحاً ان الجماعات المسلحة تعد العدة الكاملة بدعم خارجي لإعادة السيطرة على بعض المناطق المتاخمة لأماكن سيطرتها بعد إستعادتها من قبل قوات النظام بدعم حلفائه.

العوامل الخارجية:

لعبت العوامل الخارجية دوراً مؤثراً وفاعلاً في الدفع باتجاه تهاوى النظام السوري وسيطرة الجماعات المسلحة على المحافظات السورية، وأبرز هذه العوامل وأهمها هي:

1. التدخلات الإقليمية والدولية في سوريا، فحجم اللاعبين ومصالحهم كان أكبر من تتمكن سوريا من إستيعابها، حيث الولايات المتحدة الأميركية وروسيا وتركيا وإيران و"إسرائيل"، فتحول النظام في دمشق إلى أضغف اللاعبين، وبات أسير هذه التدخلات التي تقاذفته كثيراً منذ إندلاع الأحداث في سوريا عام 2011.

2.أضعفت الغارات الجوية الإسرائيلية المتكررة على سوريا خلال الأعوام الماضية بشدة الجيش والحكومة السورية، إذ قتلت إسرائيل قادة إيرانيين في سوريا، التي تحولت إلى مصيدة للخبراء والمستشارين والقوات الإيرانية، وتضرر مخزونات ذخيرتها الكبيرة في سوريا بسبب هذه الهجمات، كما غادر جزء كبير من القوات الإيرانية سوريا لأن البقاء فيها يعني التعرض للاغتيال على يد "إسرائيل"، كما كانت إيران قد سحبت معظم القوات الفاطمية والزينبية من سوريا قبل سنوات قليلة لأنه بدا أنه لا حاجة لخدمتهم العسكرية.

3.تقليص الوجود العسكري الروسي في سوريا بشكل كبير، فمنذ إندلاع الحرب الروسية الأوكرانية في شباط/ فبراير 2022، سحبت روسيا الجزء الأكبر من قواتها الجوية والبرية من سوريا، كما غادرت مجموعة فاغنر، التي تم حلها بعد انقلاب يفغيني بريغوجين على الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

بتدمير مصالح دول اخرى اذا لم يستجب صناع قرارات تلك الدول لرغبات ترامب ، او التعامل معه بحذر وواقعية تامة بشكل يضطرون فيه للتنازل عن الجزء للحفاظ على الكل ، وهذا بالضبط ما تنص عليه نظرية الملك المجنون ، حيث ينجح اليوم ترامب عبر تقمصه لشخصية الرئيس المجنون المتهور بإرغام العالم على تقديم التنازلات للولايات المتحدة عبر المفاوضات او بدونها مقابل عدم استفزاز رئيسها المتهور .

وكانت صحيفة الواشنطن بوست في 23 من تشرين الثاني 2024 قد نشرت مقالاً تحت عنوان "ترامب ونظرية الرجل المجنون". ركزت الفكرة الأساسيّة للمقال على أنّ التناقض الموجود بين رئيس غير محترف، غير تقليدي، ولا يمتلك الخبرة اللازمة، وبين عدد من المسؤولين الذين قام بتعيينهم في مراكز أساسية وحسّاسة في الإدارة الأمريكية وأجهزة الدولة ممّن يتمتعون بخبرة عميقة قد يكون أمراً مفيداً للولايات المتّحدة على مستوى علاقاتها بالدول الأخرى.

ويشير المقال بالتحديد إلى الشخصيات التي عيّنها ترامب في وزارة الدفاع والاستخبارات والأمن القومي بالإضافة إلى مستشاره الجديد للأمن القومي، ويعتبر أنّ التناقض الموجود بين خطاب ترامب وأفعال هؤلاء المسؤولين في هذه المواقع سيخلق وضعا يشبه إلى حد ما الحالة "النيكسونيّة" التي أنتجت نظرية "الرجل المجنون". في عهد نيكسون، مال خصوم الولايات المتّحدة آنذاك إلى التعامل معها بحذر لأنّهم كانوا يعتقدون بأنّ الرئيس الأمريكي شخص لا يمكن توقّع تصرفاته، ومتهوّر في العادة، وعلى الأرجح مجنون وخطير، باختصار يعد ترامب وفقا لهذه النظرية شخص خطر ولا يمكن التنبؤ بتصرفاته بسهولة وهو امر مرعب للكثير من الدول.

كما تنطبق نظرية الملك المجنون ايضا على الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين ، حيث يلوح بوتين دائما بنفس الورقة عندما يلمح الى انه ليس من المستحيل ان يفقد صبره ويستخدم السلاح النووي ضد اوكرانيا او الخصوم ، فعلى سبيل المثال، منذ شباط 2022، شككت العديد من التقارير الغربية في السلامة العقلية للرئيس الروسي بوتين ضمن الحملة الغربية المضادة للحرب الروسية في أوكرانيا، مستشهدة بالتهديدات الروسية عالية المستوى باستخدام السلاح النووي واستعراض الصواريخ القادرة على حمل رؤوس نووية، في المقابل جادلت ورقة بحثية نُشرت في المجلة الإستونية للدراسات العسكرية أن الرئيس بوتين ربما يستفيد عن عمد من الأفضلية التي يوفرها "منطق الملك المجنون" في نظرية الألعاب، وهو أمر سبق أن أشار إليه شيلينغ في كتابه، مفترضا أن "الجنون المتصور" يمكن أن يعزز المصداقية في المساومات القسرية، مما يعني أن أي طرف يمكنه استخدام "منطق الملك المجنون" جزء من إستراتيجيته في الصراع بشكل واعٍ وعقلاني للتأثير في خصومه بفاعلية.

1. رعت تركيا الجماعات المسلحة في سوريا منذ بداية الأحداث فيها بغض طرف أميركي، فمشهد الشمال السوري يعكس دور تركيا العميق في الأزمة السورية، فالوجود التركي في سوريا هو الأكبر في دولة عربية منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية عام 1918، وللدلالة على ذلك يكفي الإشارة إلى إن المدارس في المناطق الثلاث التي تتحكم فيها أنقرة، تُدرس اللغة التركية كلغة ثانية ويُعالج المرضى في مستشفيات تركية بنيت في تلك المناطق، كما أن الكهرباء تأتي عبر تركيا، والليرة التركية هي العملة الأكثر تداولاً، وزد على ذلك تدرب أنقرة وتدفع الرواتب لأكثر من 50 ألف مقاتل سوري، ونشرت قواتها في سوريا، وبنت قواعد عسكرية عملاقة على الحدود وحائط حدودي بطول 873 كيلومتر. والأهم من كل ذلك الاطماع التاريخية التركية بضم عدد من المحافظات السورية إلى تركيا، وهو ما ورد على لسان أكثر من مسؤول تركي بما فيهم الرئيس رجب طيب أردوغان الذي حاول توضيح تصريحاته حيال الحلم التركي في سوريا.

2. لعبت مساعدات أوكرانيا وعملياتها الاستخباراتية والضوء الأخضر الذي أعطته تركيا للعمليات العسكرية للجماعات المسلحة، إلى جانب المعدات والتدريب على مدى السنوات القليلة الماضية، دوراً مهماً في نجاحها الأولي، وحتى لا أفهم بشكل خاطىء أنا لا ادعي هنا ان هذه المساعدات الأوكرانية كان لها الدور الحاسم في اكتساح الجماعات المسلحة مناطق سيطرة النظام خلال أيام، لذا قلت دوراً مهما في نجاحها الأولي.

3.انسحاب مقاتلي حزب الله من سوريا وابقائه على وجود رمزي فيها، بغية الدفع بمقاتليه لاشراكهم في جبهة الاسناد التي فتحها الحزب مناصرة لغزة، ما كشف النظام السوري وجيشه المترهل، وعليه كان من المتعذر عودة الحزب إلى سوريا مجدداً للتصدي لهجوم الجماعات المسلحة بفعل عاملين رئيسين: الأول ويتمثل بالانهاك الذي أصاب الحزب بفعل الحرب الإسرائيلية المدمرة على لبنان، والتي خرج منها باضرار إستراتيجية، والثاني هو الانكشاف الهائل الذي تعرض له الحزب على مدار سنوات بفعل مشاركته في الحرب السورية، وعليه فان مشاركته مجدداً ستعرضه لنكسة قاسية كبيرة، لانها ستكشفه بالكامل أمام سلاح الجو الإسرائيلي الذي بدا متحفزاً للانقضاض على مقاتلي الحزب في سوريا المستباحة.

الانكشاف الهائل والكبير لسوريا من قبل أجهزة المخابرات الاجنبية، وفي طليعتها الإسرائيلية التي عملت على مدار عقود وتحديداً في عشرية النار السورية على زيادة نشاطها الإستخباراتي، واختراق هياكل الجيش السوري كافة، واجهزة الإستخبارات السورية، وكان واضحاً حجم الاختراق بالاستهدافات اليومية التي كانت "إسرائيل" تنفذها بحق كوادر حزب الله وقادة ومستشاري الحرس الثوري الإيراني ولفصائل المقاومة الفلسطينية، ولشخصيات قريبة جداً من النظام السوري، وللتذكير فقط على حجم هذا الانكشاف إعلان الجيش الاسرائيلي في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي عن نشاط عملياتي إستباقي داخل

1.الأراضي السورية، حيث اعتقلت قوات وحدة ايغوز مع أفراد الوحدة 504 وبتوجيه إستخباراتي علي سليمان العاصي وهو وفق التوصيف الإسرائيلي عنصراً من شبكة "إرهابية" تابعة لإيران في الجبهة السورية". وعليه فان "إسرائيل" التي أقرت كثيراً بتعاونها مع الجماعات المسلحة المعارضة للنظام، وتقديمها الدعم لها ومعالجة جرحاها في المستشفيات الإسرائيلية، قد وفرت أرضية انهيار جبهة حلب وحماه وحمص وغيرها من خلال عملية تسلل سرية تركية ـ إسرائيلية في صفوف الجيش السوري ومن خلال ترهيب وتهديد القادة. كما قدمت "إسرائيل" مساعدة استخباراتية كبيرة للمعارضة من أجل الاستيلاء على العديد من المحافظات السورية بأكثر الطرق الممكنة أماناً.

2.فشل الوساطات الروسية الإيرانية الساعية لعقد لقاء يجمع الرئيسان بشار الأسد ورجب طيب اردوغان، بفعل تمسك الأول بتحقيق جملة من المطالب الذي كان يعرف ويدرك استحالة استجابة انقرة بتلبيتها، متجاوزاً الواقع الميداني حيث النفوذ التركي المتغلغل في الشمال السوري، وإستحالة تخلي رجب طيب اردوغان عن أوراق القوة التي يمتلكها، علماً أنه صرح أكثر من مرة عن رغبته في لقاء الأسد دون شروط مسبقة ومتبادلة. لقد بدا الرئيس السوري السابق بشار الأسد في تلك اللحظة التاريخية منفصلاً عن الواقع تماماً، معتقداً ان الجميع سيسلم بشروطه.

3.لعبت الولايات المتحدة الاميركية دوراً مهماً في اسقاط النظام السوري، فمنذ غزوها للعراق بدت واشنطن عازمة على التغيير في سوريا على الطريقة الأميركية، ولم تبدو دمشق ولو للحظة واحدة منذ ذلك الحين انها خارج سياق التحولات الجيوإستراتيجية التي شهدتها المنطقة منذ سقوط سقوط النظام العراقي السابق ورئيسه صدام حسين مروراً بكل الاقطار العربية التي شهدت إضطرابات وقلاقل تحت مسمى الربيع العربي وصولاً حتى طوفان الأقصى الذي حولته الولايات المتحدة ومعها حليفتها إسرائيل إلى فرصة يتوجب الذهاب باستغلالها إلى أبعد مما يتصوره الكثيرين، وبدا ان مخطط الاختراق النظيف (Clean Break) أقرب إلى تحقيق أهدافه بعد تعثر خطواته في فترات سابقة، لذا ركزت واشنطن تاريخياً وحاضراً بتصويبها على سوريا لتحقيق جملة أمور أبرزها:

أ ـ اضعاف النفوذ الروسي ومحاصرته وتطويقه أينما وجد، فكيف الحال بهذا النفوذ في سوريا المحكومة من نظام يعادي "إسرائيل"، ويتبنى توجهات غير ودية مع الغرب، ويعتبر حلقة قوية في محور ممتد يمثل خطراً وجودياً بالمعنى الإستراتيجي الكامل على "إسرائيل" وأمنها، لذا فان أي اضعاف للنظام في سوريا يعني عملياً اضعافاً لروسيا، والعكس صحيح أيضاً فكل ضعف يصيب موسكو سيصيب دمشق فعلياً.

ب ـ اقصاء إيران من المشهد السوري، فحضور طهران ونفوذها في دمشق يرفع منسوب التهديدات المحيطة "بإسرائيل"، ويستهدف بشكل أو باخر السياسة الأميركية في المنطقة مع ما يعنيه ذلك من تهديد للأمن القومي الأميركي، فحجم المصالح الأميركية في هذه المنطقة يفوقها في أي منطقة أخرى في العالم لوجود "إسرائيل" والثروات فيها، فكيف سيكون تعاطي الولايات المتحدة مع إيران في سوريا التي اعلنت انها ستقضي على النفوذ الأميركي في غرب آسيا بعد اغتيال واشنطن لقائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليماني؟ الإجابة باختصار انها معركة لا هوادة فيها، وليكن تكسير عظام طهران في سوريا من خلال اسقاط النظام السوري وعلى رأسه الرئيس السابق بشار الأسد.

ج ـ فرض عقوبات على سوريا، وحرمانها من مواردها النفطية والغذائية، وحظر الإستثمار فيها، وتدمير المقومات الاساسية للإقتصاد السوري بغيه اضعافها كقاعدة معادية، وتحويلها إلى عبأ على حلفائها كموسكو وطهران، ودفعهما باتجاه تسوية اقلها يقوم على الخلاص من هذا النظام لان كلفة الحفاظ عليه بحالته الراهنة هي أكبر بكثير من التخلص منه، لذا بدت واشنطن منذ أكثر من أي وقت مضى عازمة على الذهاب في هذا المسار لانجاز المهمة.

هـ ـ عملت الولايات المتحدة على الامساك بالمسألة الكردية، واستخدمتها كثيراً كورقة ضغط في مواجهة النظام السوري الذي كان يتهيب كثيراً من هذه المسالة لنظراً لحساسيتها وأهميتها في النسيج السوري المتنوع، وبدا النظام عاجزاً عن كسب ود الأكراد على الرغم من منحه الجنسية لأكثر من 300 ألف كردي، وانسحاب الجيش السوري من المناطق التي يغلب عليها وجود الأكراد، الذين استغلت واشنطن امالهم واحلامهم في إقامة دولة، فعملت على تسليحهم ودعمهم للسيطرة على مناطق في الحسكة والرقة ودير الزور والقامشلي، فحرموا النظام في دمشق من أهم موارده وهو النفط، وكان واضحاً ان واشنطن لن تتخلى عن الورقة الكردية والا والنظام قد ولى.

من غير الحكمة القول ان النظام السوري سقط في 11 يوماً، فالحقيقة ان النظام سقط بفعل التراكم الكبير للعوامل الداخلية والخارجية على مدار سنوات من محنة سوريا، التي ادخلتها الإستراتيجية الأميركية في مرمى التصويب والاستهداف والتدمير الممنهج من جهة، وانهاك حلفائها في روسيا وطهران ومعهما محور المقاومة وتحديداً ركيزته وعماده حزب الله من جهة ثانية، ما فتح المشهد السوري على سياقات وتحديات غير مالوفة، باتت واضحة من خلال الحرب الإسرائيلية المدعومة غربياً بصفة عامة وأميركياً بصفة خاصة على محور المقاومة للقضاء عليه، بغية إقامة الشرق الأوسط الجديد المحكوم بقيادة إسرائيلية، لا نفوذ فيه لأي قوة خارج التصورات الأميركية التي كتبت نهاية سوريا كقوة حاجزة ومانعة، وقضت على دورها الإقليمي بغض النظر عن طبيعة النظام الذي يحكمها، وبذلك اسدلت واشنطن الستارة على أخر فصول المشهد السوري الذي بدا مكشوفاً ومنصاعاً لتصدعات تصيب سوريا من "إسرائيل" التي قضت على يابس هذا البلد وأخضره، ومن تركيا الساعية لاحياء "الميثاق الملي" والتي تتغول لإقامة تركيا الكبرى التي تضم إلى أراضيها شمال اليونان وجزر بحر إيجه الشرقية، ونصف بلغاريا وقبرص وأرمينيا في مجملها، ومناطق واسعة من جورجيا والعراق وسوريا.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة